والمرادي والمكودي، وقرأ خزرجية *العروض* على النحوي أبي عمرو عثمان بن عبد الواحد اللمطي وصحح عليه شرح الشريف الغرناطي لها.

مؤلفاته كثيرة، ضاع أغلبها، وبقي منها كما أشار إلى ذلك الأستاذ حجي في كتابه *"الحركة الفكرية"* : "*حاشية على ألفية ابن مالك، وحاشية على مورد الظمآن في علوم القرآن* وهما مخطوطتان بمكتبة تمكروت".

كان مولده سنة 898 كما في *سلوة الأنفاس*، ووفاته بمدينة فاس سنة 984 كما عند ابن القاضي، وسنة 983 كما عند المنجور، ودفن خارج باب الجيسة.

أحمد المنجور، *فهرس المنجور*، تح. حجي، ص. 13 ـ 63 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. حجي، ص. 58 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 222 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1 : 250 ؛ *لقط الفرائد ضمن ألف سنة من الوفيات*، تح. حجي، ص. 314 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 128 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 354 ؛ الترغي، *فهارس علماء المغرب*، ص. 632 ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 1 : 286.

نجاة المريني

المسُّوفي، أسرة صنهاجية من الأسر التي دخلت في خدمة الموحدين بعد زوال الدولة المرابطية، كان منها بعض الولاة بالأندلس مثل : أبي عبد الله محمد بن يحيى بن تلكعت، ولي مالقة، ثم إشبيلية. "كان قويا في تسييره، كثير النفع والضرر، مهتما بالبناء والتشييد، معتنيا بجمع الكتب، جمع منها ما لم يجمع غيره"، وعندما كان واليا بمالقة كانت صلته وطيدة بأبي محمد الرعيني المالقي (ت. 632) أحد كبار علمائها، وهو الذي كان ينبهه إلى أهمية الكتب، ويوجهه إلى المفيد منها، فيقتنيها. وبعد نقل أبي عبد الله إلى ولاية إشبيلية عين على مالقة ابنه أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى بن تلكعت، لكنه سيقتل على يد الخليفة الموحدي محمد الناصر بن المنصور سنة 608 / 1211 عندما كان الخليفة متوجها لفتح شلبطيرة، بعد تشكي الرعية منه واتهامه ببعض التجاوزات في التسيير.

ابن عسكر، *أعلام مالقة*، ص. 117.

محمد المغراوي

مسطاسة : من القبائل الصنهاجية الواقعة على الساحل المتوسطي غرب مدينة بادس باثني عشر كيلومترا، تتاخم حدودها الشرقية قبيلة بني بوفراح الحالية، في حين تختلط حدودها الغربية مع بني گميل لتمتد إلى قبيلة متيوة الغمارية، وهي قبيلة صغيرة تندمج مجاليا واجتماعيا في قبيلة بني گميل الصنهاجية. وتجدر الإشارة إلى أن مسطاسة استوطنت التراب الغماري في فترة قديمة، بعدما تراجعت تلك القبيلة إلى الغرب، حدث ذلك عندما زحفت قبائل صنهاجة من المناطق الجنوبية في اتجاه الساحل المتوسطي، وقد نسب ابن خلدون مسطاسة إلى بطون البرانس، باعتبار مسطاس وازداج (ازداجة) أخوين. وتميزت هذه القبيلة بكيان مستقل منذ الفتح الإسلامي، بتوفرها على رقعة جغرافية محاذية للبحر المتوسط، وعلى الرغم من وجود نوع من الغموض في الحدود الجنوبية مع بني گميل، فإن مجال مسطاسة كان معلوما ابتداء من سوق السبت التابع لبني كميل حاليا، إضافة إلى وادي بني گميل الذي يتحول اسمه إلى وادي مسطاسة بمجرد دخول تراب هذا القبيلة.

وتبين من المصادر وجود التباس في تسمية هذه القبيلة، إذ كانت متميزة باسمها "مسطاسة" عن قبائل صنهاجة، رغم أن أصل الجميع صنهاجي برنسي، فما هو المشكل في تسمية هذه القبيلة ؟ أولا لم نتوصل إلى قراءة مدلول مصطلح "مسطاسة"، لفهم أبعاده الاجتماعية والاقتصادية، ثانيا، يتعلق الأمر باسم الجد الأول مسطاس الذي نسبت إليه القبيلة منذ ظهورها.

أبرز أبو عبد الله البكري الدور الذي كانت تتمتع به مسطاسة بين جيرانها قبائل صنهاجة وغمارة أثناء ظهور إمارة نكور في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فأشار إلى مكانتها البارزة في هذه المرحلة، وقدرتها على قيادة حليفتها بني گميل المجاورة لها، دون أن يوضح دور قبيلة بني مروان الغمارية أو قبيلة متيوة. وأسدت مسطاسة خدمات لصالح إمارة نكور منذ ظهورها، فكانت من القبائل التي أيدت أميرها صالح بن منصور الحميري واعتنقت على يده الإسلام، وانضمت إلى مشروعه، وفي تطور آخر تمردت على صاحب الإمارة، وانفصلت عنه تضامنا مع قبائل صنهاجة المجاورة، وتخلت مع حلفائها عن الإسلام بسبب التكاليف المالية الكثيرة، وعينوا حاكما عليهم اسمه داود الرندي النفري. وبذل مؤسس الإمارة المذكور جهودا كبيرة لإرضاء تلك القبائل وإقناعها بالعدول عن الانفصال، متنازلا عن التشدد في فرض التكاليف المالية، ومظهرا قدرا مهما من اللين للحفاظ عليها ضمن إمارته. وظهر أيضا من خلال البكري نجاح جهود الأمير في إعادة قبيلة مسطاسة وغيرها إلى صفه، والتي ارتكزت على مبدأين أساسيين : أولا عودة القبائل إلى الإسلام، ثانيا تخلصها من الحاكم الجديد. وكانت القبيلة معروفة في هذه المرحلة بنشاطها التجاري انطلاقا من المرسى الذي تشكل عند مصب واديها في البحر، ولكن البكري لم يعالج هذا الموضوع، ومع ذلك فهذا لا يمنعنا من التساؤل عن بعض المعالم المعمارية التي تحدثت عنها المصادر بعد انهيار إمارة نكور، مثل البرج أو القلعة التي سنأتي على ذكرها.

توفرت قبيلة مسطاسة في عهد المرابطين على حصن عسكري، أورده الشريف الإدريسي ضمن شبكة من الحصون الساحلية، نذكر من بينها حصن تازكا (الجبهة) وحصن كركال (صنهاجة)، وهما معاصران لحصن مسطاسة. وبصفة عامة فإن بناء ذلك الحصن ارتبط بمبادرة رسمية من الدولة المركزية لحراسة تلك القبيلة من الغارات القادمة من البحر.

والواقع أننا لا نملك إشارات تحدد بوضوح تاريخ بناء ذلك الحصن، رغم أن الأبحاث ترده إلى الفترة المرابطية، وحسب كريسيي P. Cressier فقد تعرض هذا البرج للترميم من قبل الدولة المرينية، وينسبه المحليون إلى السلطان الأكحل، والذي غالبا ما يطلق على السلطان أبي الحسن. لا نستطيع تحديد نوع المرافق التي كانت بذلك الحصن، خاصة وأن البرج يمثل أهم معلمة فيه، تقوم بمراقبة البحر مثل أبراج كركال (صنهاجة) ببني بوفراح الحالية. وقد بني الحصن بخليج مسطاسة فوق أكمة شبه مستوية قليلة الارتفاع في الضفة الغربية من وادي مسطاسة، لحراسة الخليج وإرشاد السفن ليلا بواسطة منار مرتفع. فهو من هذه الناحية مركز دفاعي. ولا نعتقد أنه تحول إلى قلعة يحطيها سور، كما كان الحال بقلعة أمركو المرابطية.

ولا نستبعد أن عناية محمد الناصر الموحدي بالمدن والمواقع المطلة على البحر الأبيض المتوسط سنة 601 شملت أيضا ساحل قبيلة مسطاسة، بترميم وإصلاح الأجزاء المتضررة من الحصن وتعزيز الحراسة، خوفا من التهديدات القشتالية.

وتزايد نشاط القرصنة على طول الساحل المتوسطي على عهد المرينيين، فتحملت القبيلة مسؤولية حماية السكان من تسرب الإسبان إلى ترابها. ورغم أن صاحب كتاب *صلحاء الريف* أغفل هذا الجانب، الذي كان منتشرا بالقبائل المجاورة لمدينة بادس. ويبدو أن المرينيين كان لهم اهتمام خاص بهذه القبيلة، ويدل بناء المسجد بترابها على حضور سلطتهم، ويعتقد أن بناءه كان بعد ثورة الفاطمي الحاج العباس بن صالح الصنهاجي من بني گميل في الربع الأخير من القرن السابع الهجري حينما هدد مصالحها للخطر، فكان بناؤه بمثابة تقديم الدعم لفقهاء المذهب المالكي بالقبيلة. ولم تهتم المصادر بتاريخ إحداثه، ومن جهتنا نرده إلى أبي الحسن المريني أو إلى ابنه أبي عنان، وقد شكل هذا المسجد منذ تلك الفترة معلمة علمية في الريف الأوسط كله، فإليه كان طلبة العلم يتوجهون للحصول على مزيد من العلوم الدينية واللغوية.

وكان المجتمع المسطاسي في عهد الوطاسيين والسعديين قد عرف تغييرا في بنيته السكانية، نتيجة استقبال وافدين أندلسيين بعد سقوط مدينة غرناطة سنة 1492، واستمر وصول الوافدين طيلة قرن من الزمن، وخاصة بعد طرد الموريسكيين من إسبانيا سنة 1609، وبدون شك فإن ذلك أدى إلى إثراء المجتمع المسطاسي الصنهاجي نتيجة استفادته من ثقافة وخبرات العنصر الأندلسي، مما أعطى دينامية جديدة شملت تنظيم المجال الزراعي، وخاصة الزراعة المسقية على ضفتي وادي الفتوح. كما تعرضت منطقة الريف في عهد السعديين وخاصة مدينة بادس القريبة من مسطاسة إلى الاحتلال الإسباني سنة 1564، حيث أصبحت قبيلة مسطاسة تثير أنظار قواد الإسبان بالجزيرة، لما تتوفر عليه من غابات الأرز التي تمثل ثروة خشبية ومادة تجارية عبر مرسى القبيلة، ويبدو من تقارير الإسبان أهمية تلك الغابات، ودور أخشابها في تنشيط صناعة السفن وتسقيف البيوت. وأشار التقرير أيضا إلى مدينة تطوان باعتبارها تتوفر على غابات في هذه المنطقة من الريف. ويعتقد أن مسطاسة كانت معروفة لدى إسبان بادس في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، يؤكد ذلك تقرير أحد قواد إسبان بادس سنة 1791 والذي قدم معلومات مختلفة عن القبيلة، وخاصة عن الجانب العسكري والاستراتيجي فيها. وتمكن أيضا من تقديم لمحة عن سكان القرية، من خلال عدد المنازل التي تضمها، وقدرها بثلاثمائة منزل، وأيضا حاول إحصاء عدد حاملي السلاح وكانوا مائتي محارب منهم اثنان وأربعون فارسا.

كما تطرق إلى غذاء السكان، وركز على خبز الشعير، بصفته المادة الأساسية في ذلك، مضيفا مادة الزبدة والخروب. واعتبر خشب الأرز أهم ما يصدره السكان من المرسى إلى أسواق تطوان وطنجة وجبل طارق وغيرها. كما كانت هذه القرية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي هادئة، فقد استقر فيها صاحب موليراس فوجدها محاطة بغابات من أشجار الفواكه على مد النظر، حاول أن يجعلها في صف المدن، لولا وجود كثير من المظاهر التي تبعدها عن ذلك، وشبه كبرها بمدينة مستغانم. كما عاين المؤلف منار المسجد المرتفع، وقدم وصفا للبرج القريب من الساحل الذي يعلوه مدفع قديم، يشرف على الخليج الساحلي حيث يوجد مرسى القبيلة، ويتصدره ضريح سيدي سعيدي.

ومن جانب آخر أعجب المؤلف بكثرة أشجار الفاكهة وبالمزروعات، ويبدو أن السكان كانوا يجهلون الفائدة الغذائية لمادة القمح، ولهذا تجنبوا زراعته، بينما كان الشعير يمثل المادة الأساسية في التغذية، فكان هو المزروع الأساسي.

استمر هذا المسجد يؤدي رسالته الدينية والعلمية إلى فترتنا الحالية، وتمثل شهادة موليراس أهمية خاصة، كما قدم الباحث كريسيي وصفا جميلا لهذا المسجد واعتبره من أفضل المساجد التي بنيت بالريف، ويمتاز بتصميم جيد وبناء متقن على شاكلة النمط المغربي الأندلسي.

أبو عبد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد المغرب*، مكتبة المثنى، بغداد ؛ الشريف الإديسي، (ت. 564 / 1160)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، ج 5 ؛ عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، الرباط، 1982 ؛ عبد الرحمن بن خلدون، *كتاب العبر* ، لبنان، 1968، ج 6 ؛ البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، *أخبار المهدي بن تومرت*، ص. 55 ؛ علي بن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1415 ـ 1574 ، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، الرباط، 1990، مرقونة بالرباط، ج 2 ؛ عبد الرحمن الطيبي، *المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية، قبائل ساحل الريف الأوسط* من 1860 ـ 1920، دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1993، 1 : 177.

S.I.H.M., Espagne, t. 3, p. 84 ; Dora Bacaicoa Arnaiz, El Penon de la gomera en 1791, *Tamuda Tetùan, 1955, p. 193* ; A. Moulièras, *Le Maroc inconnu*, 2 vol., t. 1, Paris,